

النقوش الكتابية الأمازيغية القديمة بموريتانيا

"الأهمية والسياق التاريخي"

The ancient Amazigh inscriptions in Mauritania "Importance and historical context"

محمد سالم محمدن مختار السالم*

¹ عضو الاتحاد العالمي للأكاديميين ورواد العلم (العرب والناطقين بالعربية). وحدة بحث الآثار والتراث، جامعة نواكشوط العصرية (موريتانيا).

البريد الإلكتروني: med.salem1992mohameden@gmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإيداع
2022/12/01	2022/11/24	2022/06/01

المخلص: يهدف هذا البحث إلى التنويه بالأهمية التاريخية للنقوش الكتابية الأمازيغية الموجودة بموريتانيا، ووضعها في سياقها التاريخي، مع التعريف بأهم مواقع انتشارها وتبيين علاقتها باللغة الأمازيغية التي عرفها نفس المجال. وباستخدام المنهج الوصفي والاستقرائي وتطبيقهما على مختلف المعطيات المتحصل عليها توصلنا لعدد معتبر من النتائج، والتي منها أن هذه النقوش على الأرجح هي أقدم نموذج للكتابة بموريتانيا، وما يعنيه ذلك من دلالات تاريخية وحضارية، وأنها في الغالب تمثل ترجمة للغة الأمازيغية القديمة.

وفي ضوء هذه النتائج تقترح الدراسة السعي لفك رموز هذه الكتابة من خلال دارسين من أهل المجال، وأخذ عينات من الصخور الحاملة لها لمختبرات مختصة لتحديد عمرها الزمني، كما تقترح على الباحثين القيام بدراسات تربطها باللغة الأمازيغية القديمة بموريتانيا ووضعها في سياقها الصحراوي-الشمالي إفريقي.

الكلمات المفتاحية: النقوش ؛ الكتابة ؛ الأمازيغ ؛ موريتانيا ؛ الفترة القديمة

Abstract: This research aims to highlight the historical importance of the Amazigh written inscriptions found in Mauritania, put them in their historical context, define the most important sites of their spread, and show their relationship to the Amazigh language known in the same field.

By using the descriptive and inductive methods and applying them to the various data obtained, we reached a significant number of results, among which are that these inscriptions are probably the oldest model of writing in Mauritania, and what this means for historical and civilized connotations, and that they mostly represent a translation of the ancient Amazigh language.

Therefore, based on these results, the study suggests seeking to decipher it through scholars from the field, taking samples of the rocks, and carrying them to specialized laboratories to determine their chronological age.

Keywords: inscriptions – Writing – Amazigh – Mauritania - ancient period.

مقدمة:

خلفت المجموعات البشرية القديمة بموريتانيا العديد من الشواهد ذات الطبيعة الأثرية، وقد عكست هذه الأخيرة مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للإنسان خلال تلك المراحل التاريخية الغابرة، ويمكن اعتبار النقوش الكتابية من بين أهم الشواهد المتحدث عنها، ليس لكونها بقايا أثرية قديمة فقط، بل لأنها تمثل نقلة نوعية على أزيد من مستوى في تاريخ هذا المجال. وهنا يمكن أن نتساءل عن العوامل التي أكسبت هذه النقوش الكتابية مكانتها؟ وعن السياق التاريخي الذي وجدت فيه؟ ولمعالجة هذه الإشكالات سننطلق في مقاربتنا للموضوع من فرضية أن هذه الكتابات ذات أهمية كبرى، نظرا لمكانة التدوين عموما في توثيق التاريخ. وللإجابة على الإشكالات السالفة ولإثبات الفرضية المنطلق منها سنستخدم المنهج الوصفي والاستقرائي.

1. النقوش الكتابية بموريتانيا معطيات عن السياق التاريخي والشواهد الأثرية

2.1 السياق التاريخي للنقوش الكتابية بموريتانيا:

تعد الكتابة معيارا لدى المؤرخين لانتقال أي مجموعة بشرية، من مرحلة ما قبل التاريخ إلى الفترة التاريخية، لذا يعتبر الاهتمام إلى الكتابة مرحلة متطورة من حياة أية مجموعة، إذا ما تعدت هذه الكتابة مراحلها البدائية البسيطة، لأن التوصل إلى الكتابة ما هو إلا نتيجة لشعور محدد بضرورة وجود وسيلة أو طريقة، لتنظيم حياة الجماعة في كافة مجالاتها، ولا يخفى أن أولى الكتابات لسكان المجالات الصحراوية ومثيلاتها بشمال

إفريقيا، حفظتها لنا اللوحات الصخرية والشواهد ذات الطبيعة الجنائزية أو التذكارية، وتنتشر هذه الكتابة في مجال واسع، يشمل زيادة على شمال إفريقيا والصحراء، جزر الكناري.

هذا وتعددت التسميات التي أطلقت على الكتابات التي وجدت بهذه المجالات، ومن أكثرها تداولاً، -الكتابة الليبية البربرية (l'écriture Libyco-Berbère) والكتابة الليبية الأمازيغية (l'écriture Libyco-Amazighe) و تيفيناغ (Tifinagh)، وإن كان فيه من يرى تقسيماً زمنياً داخل هذه التسميات، فالليبية قديمة، بينما تعتبر تيفيناغ هي الحديثة.

كشف الباحثون عن البدايات الأولى للكتابة لدى السكان المحليين بشمال إفريقيا، منذ ثلاثينيات القرن السابع عشر (1631م)، حيث عثر في مدينة توگا (Thugga)، وبجران أحد الأضرحة على نقيشة بها كتابة ليبية وأخرى بونية، وفي نهاية القرن التاسع عشر، تمت الإشارة الأولى للكتابة الأمازيغية على اللوحات الصخرية، ثم توالى الاكتشافات بعد ذلك، لاسيما في القرن العشرين الذي تزامن مع الحقبة الكولونيالية الأوروبية بإفريقيا، وهو ما توج بصدور أول مجمع أو مدونة (Corpus) للنقائش الليبية (أسميري، 2004، الصفحات 287-288). وهكذا توالى اكتشافات هذه الكتابة، حتى أضحت موضوعاً مهماً لدى الدارسين. وفي هذا السياق يمكن أن نفهم بدايات التعرف على الكتابة المتحدث عنها بالمجال الموريتاني، والتي ارتبطت بدورها بالمسوح الأثرية وخصوصاً المتعلقة منها بالفن الصخري، وهو ما تم مع بداية التواجد الاستعماري الفرنسي، فكان في البداية من قبل هواة، ومع الوقت ستأخذ تلك الدراسات طابعاً رسمياً.

3.1 النقوش الكتابية بموريتانيا من خلال شواهد الفن الصخري:

يعد الفن الصخري بموريتانيا -حسب علمنا- هو الشاهد الأثري الوحيد الذي عكست مشاهدته حروفاً للكتابة أو الأبجدية الأمازيغية القديمة، إذ تتحدث الدراسات المحلية عن مرحلة من هذا الفن تعرف بـ"الليبية -البربرية" (Libyco-berbère)، وذلك لأن

اللوحات الصخرية عرفت خلالها عناصر حضارية جديدة، من بينها الكتابة الليبية القديمة أو أبجدية تفناغ.

وعلى أي فإن عدد مواقع هذه الكتابة الليبية (تيفناغ القديمة) بالمجال الموريتاني، قد أحصت الدراسات ما يقارب الأربعين منه (Yves, 2011, p. 106) وهو ما يجعلها عدديا في المرتبة الرابعة مغاربيا بعد كل من ليبيا والجزائر والمغرب. وإذا كان المهتمون يقسمون الكتابة الأمازيغية مجاليا إلى عدة أقسام، منها "الأبجدية الشرقية (Alphabet oriental)" والتي تعرف في بعض الكتابات بالenomيدية، وتتركز مجاليا في غرب ليبيا الحالية وتونس وشرق الجزائر حتى قسنطينة، أي الأراضي الماسيلية كما سمتها الإسطوغرافيا القديمة، ويبلغ عدد حروفها 23 حرفا.

أثر على هذه الكتابة الجوار القرطاجي، فكانت تشبه البونية في الجانب الشكلي، أي أنها أصبحت تكتب بشكل أفقي، ومن اليمين إلى اليسار على طريقة مخالفة للكتابة الأمازيغية القديمة، التي تكتب عموديا من الأسفل إلى الأعلى متجهة من اليسار إلى اليمين. أما "الأبجدية الغربية (Alphabet occidental)" فيمتد مجال انتشارها بين قسنطينة شرقا والمحيط الأطلسي غربا، وتضم هذه الكتابة عددا أكبر من الحروف إذ يبلغ عددها 33 حرفا، أي أنها تتضمن حروفا لا نجدها في الكتابة الشرقية. والاختلاف الآخر بينهما أن نقائش الكتابة الغربية جد مختصرة. في حين تسمى الكتابات الصحراوية بـ "الأبجدية الصحراوية (Alphabet Saharien)" وتغطي أغلب مناطق هذا المجال، و غالبية نقائش هذه المنطقة نصوص أمازيغية مختصرة، و يوافق مجال انتشارها (أي الأبجدية الصحراوية) في جزء منه المجال الذي كان خاضعا للجيتولين (Les Gétule) والگارامانيين (Les Garamantes)، و في جزء منه كان يضم أراضي الإثيوبيين.

من الأبجدية الصحراوية ستنبثق تيفيناغ القديمة و تيفيناغ الحديثة، ومازالت هذه الأخيرة يستعملها التوارگ، وتقترب الكتابات التي عثر عليها بجزر الكناري من هذه

الأبجدية (أعشي، 2002، صفحة 20 وما بعدها). و بحكم أن المجال الموريتاني جزء من هذه المنطقة فإن الكتابات الموجودة به، داخلية في عموم الأبجدية الصحراوية، خصوصا أن المناطق التي تنتشر بها هذه الكتابات في موريتانيا محاذية للمجال الصحراوي في أغلبها، وتشكل امتدادا طبيعيا له.

إن الباحث عن تأريخ زمني لهذه الكتابة بالمجال الموريتاني، لن يجد كبير معطيات، نظرا لضعف الدراسات الخاصة بهذا المجال، كما أن الذي يتبين من تتبع اللوحات الصخرية بالمجال الموريتاني، أن هذه الكتابة لا تعود لفترة زمنية واحدة، حيث نجدها مع أنواع من الحيوانات المختلفة كالظباء والزراف والفيلة ووحيد القرن (Roget, 1996, pp. 112-116)، ومعلوم أن جل هذه الحيوانات عكسه هذا الفن في فتراته المبكرة، وهو ما يفهم منه أنها كتبت خلال تلك الفترة، ويرجح هذا التوجه كذلك وجود هذه الكتابة بموقع مخروكة قرب تيشيت مع عدد من الفيلة (Vernet, 2003, p. 109)، وتعد هذه الأخيرة (تيشيت) إحدى المناطق التي استوطنها الإنسان في وقت مبكر، مما يجعل من احتمالية أن المجموعات الأمازيغية الأولى بالمنطقة هي من كانت وراء هذه الكتابة أمرا واردا.

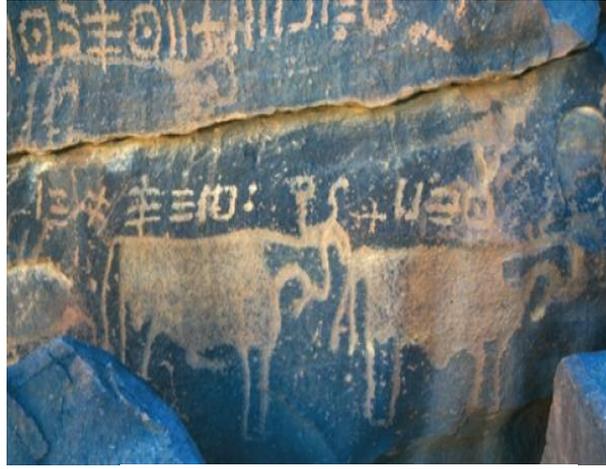
نلاحظ كذلك ظهور حروف هذه الكتابة مع الخيول والإبل في أزيد من موقع بولاية تكانت، نجد ذلك في اكليب المحصر (Sénones, 1939, p. 68)، وهو نفس ما وقفنا عليه بموقع اكليب اظوية مَمَّ، ومعروف لدى المهتمين أن رسوم الخيل والجمال من أواخر حقبة الفن الصخري، وهو ما يجعلنا نفترض أن هذه المجموعة من الكتابات الليبية كانت متأخرة زمنيا عن ما يوجد بموقع الغلاوية.

تبقى الميزة الأساسية لنماذج الكتابة الليبية الموجودة بالمجال الموريتاني، هي القصر والإيجاز في المحتوى، إذ بالكاد تتجاوز أحيانا بضعة حروف، ولعل هذا ما ولد مستوى من عدم الاهتمام بها من قبل الدارسين، فلو كانت نصوصا بأحجام كبيرة لجذب

ذلك إليها اهتمام الدارسين بشكل أوسع. وربما يكون السبب ذاته هو ما جعل الكتابة بالمجال الصحراوي عموماً، غير معروفة بشكل جيد، أو على الأقل بالمستوى الذي تعرف به الكتبتين الشرقية والغربية، وإن كان هذا المجال عثر فيه لحد الآن على بعض أقدم نقائش الكتابة الأمازيغية القديمة، وذلك باللوحات الصخرية لتاسيلي وتادارارت أكاكوس، مع أن تاريخها غير معروف بدقة بالشكل الذي عرف به تاريخ بعض النقائش المنسوبة إلى الكتبتين السابقتين خصوصاً الشرقية منها.

يبقى في غياب تأريخات محددة للكتابات الموجودة بالمجال الموريتاني، التساؤل عن إمكانية جعلها مؤشراً على بداية دخول المجال الموريتاني للفترة التاريخية، على اعتبار أن الكتابة هي شرط ذلك. ومع أن الإحجام عن تناول هذا المعطى هو الغالب نظراً لاعتبارات نعتقد أن أساسها إيدولوجي، خصوصاً مع التحولات الاجتماعية والدينية والسياسية التي ستعرفها المنطقة في المراحل اللاحقة على الفترة القديمة. ويمكن أن نضيف لذلك اعتبارات موضوعية تتعلق بعدم فك شفرات هذه اللغة حتى الساعة.

وأياً كان فإن المعطيات توضح أن المجموعة التي كانت وراء هذه الكتابة أمازيغية، حيث وصلت هجراتهم إلى المجال الصحراوي - وفق بعض التقديرات - خلال منتصف الألف الثاني قبل الميلاد (أسميري، 2015، الصفحات 38-39)، ويعضد هذا المعطى ما عكس الفن الصخري من موضوعات خاصة بهذه المرحلة كالعربة والفرس والأسلحة المعدنية، وهي موضوعات ترافق الكتابة الليبية في أزيد من موقع (Roget, 1996, pp. 131-133).



| : □ | + ≡ 0 :
: | - ρ : | + 1 0 > ≠ 0 !! + 117] 1 ≡ 0
< 5 + 0]
+ N : 0 ≡ [√ - 0 + 1 0 < <
| ≡ ≠ ≠ ≡ 1 0 :] || 3 0
: □ ≡ 2 ≡ : □
] ≡ 0 :
1 0 3 ≠ 0 !! + 11 1] 1 ≠ 1

نقوش كتابية بموقع الغلاوية شمال موريتانيا (Roger 1996)

1. مكانة اللسان الأمازيغي ضمن الخارطة اللغوية القديمة بموريتانيا:

إن وجود نقوش أمازيغية مكتوبة خلال الفترات القديمة، يدفعنا للبحث عن لسان هذه المجموعة ضمن الخارطة اللغوية القديمة، باعتبارها الترجمان العملي لتلك الكتابات. وعند تقصي المصادر القديمة نجدها لم تقدم معطيات كبيرة عن هذا اللسان، وهو ما رأى فيه جل الدارسين احتقارا من الكتاب الإغريق واللاتينيين لهذه اللغة وثقافتها، وحينما يتعلق الأمر بالمجالات الصحراوية فإن الأمر يزداد تعقيدا، إلا أنها مع ذلك لا تخلو من إشارات عامة أحيانا وغامضة أحيانا أخرى، فقد ذكر هيرودوت في وصفه للإثيوبيين أن لهم كلاما لا يشبه أي كلام، غير أنه يذكر بأصوات الوطواط أو الخفاش (Herodote, 1888, IV -)

(183)، في حين لا حظ اسطرابون تشابها بين لغة الاثيوبيين الغربيين والشرقيين (Strabon, 1969, II- 5). وعلى أي حال فإن ضعف الاهتمام هذا، قد يكون مرده إلى ما صرح به بلينيوس الشيخ من أن أسماء الأعلام والأماكن في اللغة الأمازيغية يصعب نطقهما على الأجنبي (Pline, 1952, V, I)، وقد نعت سالوست لغة ساكنة المنطقة في العموم بأنها بربرية (Salluste, 1952, XVIII).

يتضح إذا من هذه الإشارات أن الأمازيغية هي السائدة في عموم المجال الشمال إفريقي وهوامشه الصحراوية التي ينعت سكانها بالاثيوبيين، أو أصحاب الوجوه المحروقة، ويمكننا من خلال معطيات المصادر الوسيطية التأكيد على سعة انتشار هذه اللغة، وأن أعداد الناطقين بها كانت كثيرة، في المجال الموريتاني الحالي، إذ يكفي للدلالة على ذلك ما ذكر ابن أبي زرع من أن " ...صنهاجة تنقسم إلى سبعين قبيلة..وفي كل قبيلة بطون وأفخاذ وقبائل أكثر من أن تحصى، وهذه القبائل كلها صحراوية... " (ابن أبي زرع، 1973، صفحة 120)، وقد تواتر الكتاب العرب على الكثرة العددية للمجموعات الصنهاجية بالمجال الصحراوي، خلال العصر الوسيط، ولم تبقى هذه الكثرة في إطار المبالغة المعهودة من طرف كتاب ذلك العصر، وإنما دُعمت بتحديد كمي أحيانا (الناني، 2007، صفحة 49)، فقد أورد ابن حوقل في حديثه عن بربر الصحراء " ومن المتعزبين الموغلين في البراري صنهاجة أودغست ..ويكونون نحو ثلاثمائة ألف بيت من بين نواله وخص.. " (ابن حوقل، 1992، صفحة 97).

انطلاقا من تقدير ابن حوقل هذا، خلال القرن العاشر الميلادي، يمكن تحديد أعداد الناطقين بالأمازيغية في صحراء الملثمين، وهو تحديد يأخذ في الحسان طبيعة المجتمع الرعوي الذي يسعى لإنجاب أكبر عدد من الأبناء ليشاركوه في تحصيل المعاش والرعي، والذود عن حريم القبيلة وأبناء العمومة، ومراعاة لتلك الاعتبارات يمكن تقدير متوسط معدل أبناء وبنات الأسرة الواحدة بخمسة أفراد، فيكون معدل الأسرة الواحدة بإضافة

الوالدين هو سبع نسمة، مما يعني أن عدد سكان صحراء صنهاجة الناطقين بالأمازيغية قدر حينها بحوالي 2100000 نسمة (الناني، 2007، صفحة 49).

إذا كانت هذه أعداد المجموعات الصنهاجية المتحدثة باللسان الأمازيغي خلال القرن العاشر، فكم ستكون الأعداد مع اشتداد قوتهم وسيطرتهم على مناطق جديدة، خصوصا بعد الفتوحات التي قادوها نحو المناطق الناطقة بلغات مختلفة. ومعلوم أن المرابطون من صنهاجة ولسانهم من أقدم اللهجات الأمازيغية المعروفة، وأسماؤهم ناطقة بذلك، فهذا عبد الله ابن تيفالوت الملقب تارشني (تُرْكَوت وهي جدة أمراء المرابطين) وتاشفين وأصلها: تجفنت؟ ورتتطق: إِرَر تاندغ: أسد ذة جفنة: كريم؟ إن زار: ذو المطر أو ذو الخيرات، إكدالة: إكدالن: الحراس، المنتشرون، المتحصنون. لمتونة: إلمتن: حيوان اللط وكان رمزا أسطوريا (حماء الله، 2015، الصفحات 17-18).

توضح كذلك المصادر المحلية أن اللغة الأمازيغية ظلت هي أساس ما يتحدث به حتى مجئ بني حسان، فهذا ابن الأمين الشنقيطي يصف الخارطة اللغوية قبل قدومهم بأنها كانت قسمين قسم يسمى أزيير، وقسم يقال له أكلام أزنّاغة، أما القسم الأول فلم يبقى له أثر إلا في مدينة وادان، ثم يردف أنه يظن أن القسمين واحد (ابن الأمين، 1989، صفحة 485)، ويتيح لنا هذا المعطى إذا التفريق بين لغتين محليتين، إحداهما أمازيغية ممزوجة ببعض اللهجات السودانية، وأخرى أمازيغية خالصة، وهاتان اللغتان هما:

1.2 اللغة الأزييرية:

يعد موضوع اللسان الأزييري من الموضوعات التي أثارت نقاشات واسعة بين الباحثين، ولعل خلاصة ما يمكن تقديمه في هذا الباب، هو أن الأزييرية هي إحدى اللغات التي نتجت عن تزاوج بين بعض لغات السودان الغربي، وخصوصا المجموعة السوننكية، واللغة الصنهاجة المعروفة محليا بـ"أكلام أزنّاغة"، وهو ما جعل البعض يعتبره لسانا تجاريا بالدرجة الأولى، مثله في ذلك مثل لغة الهوصا، لذا يذهب جل الدارسين إلى أنه

كان المتحدث الأول في المعاملات التجارية بين غانه وأودغست (الهلال، 2014، صفحة 73)، وهو معطى يجد وجاهته بالنظر إلى خارطة السكانية حينها، فمعلوم أن مجال قبيلتي كدالة ومسوفة الصنهاجيتين، يتقاطع حدوديا مع بلاد السودان (يحي، 2013، صفحة 63)، وأن التجارة كانت هي أساس الاقتصاد وقتها، مما يجعل من وجود لسان مختلط بين قوميات مختلفة أمرا مستساغا. وتوضح المصادر أن خارطة انتشار اللسان الأزيري قد عمت أغلب المدن القديمة في موريتانيا (الهلال، 2014، صفحة 75)، وإن كانت وادان قد عرفت به أكثر من غيرها (ابن الأمين، 1989، صفحة 485).

ومهما نثر حول لسان أزير من إشكالات، فإنه ظل إلى عهد قريب يتحدثه الكبار في منطقة الحوض الشرقي، وتعد وادان آخر موطن له (يحي، 2013، صفحة 62)، وقد كانت ساكنتها تتداول بعض كلماته حتى فترات قريبة، لكن معظمها انقرض، وقد نظم بعضهم مفردات من هذه اللغة المندثرة في أبيات منها:

ياسائلا وقيت كل ضير	عن معنى ألفاظ كلام "زير"
فهاك نظما قد حواه أجمعا	مفردها أنصبه وجمعها ارفعا
ككت لليد وللجمع كتو	شجرة يت وللجمع يتو
العين ياغ ثم الرأس يم	والسن كنب الاصبغ الدم
الأنف في أزيرنا نفنا	والفم رق ثم الركب غنا

(النحوي، 1967، الصفحات 40-41)

يتضح من خلال المصادر المحلية، أن هذا اللسان ظل حاضرا حتى بعد قدوم الهجرة الحسانية للمجال الموريتاني، حيث يصف أحد الشعراء في أبيات ردة فعل إحدى الوادانيات، وكان من بين ماتقوهت به كلمات من الأزيرية:

لقد شمخت أنفا علينا خديجة	وقالت بأزار لها إدوارن
ونحن الأنوف الشامخات على الورى	تقاصر عنا كل أنف ومارن

(ابن الأمين، 1989، صفحة 485)

أيا تكن أسباب تراجع هذا اللسان في المجال الموريتاني، فإن ما يهمنا هنا هو تأكيد ما ذكرت جل الدراسات، من أنه خليط بين السوننكية واللهجة الصنهاجية المحلية، وهو ما يشهد للحضور المعتبر للسان الأمازيغي وكذا قدرته على التكيف مع محيطه تأثيرا وتأثرا.

2.2 اللغة الصنهاجية (اكلام أزناكة):

يعرف صاحب الوسيط "اكلام أزناكة" بأنه فرع من فروع الأمازيغية المغربية، وهو موافق للسان الشلحي، ويختلف معه اختلافا، كما بين لسان الترك والتتر، فإننا رأيناهم في سوسة يتفاهمون من أول وهلة، وليس لهذا اللسان كتابة مخصوصة، ولا أعلم من قواعده إلا أن المؤنث تكون التاء منه في أوله (ابن الأمين، 1989، صفحة 486)، فكلام أزناكة إذا هو التسمية المحلية للأمازيغية التي ظلت متداولة حتى فترات متأخرة، وتعتبر مضارب الجنوب الغربي الموريتاني، من آخر معاقله، حيث لازال يُتحدث في دوائر ضيقة تخص الكبار أساسا، وسنقدم بعد التفاصيل الخاصة بها لاحقا.

زيادة على هاتين اللغتين، فإننا نعتقد أن الأقليات الزنجية الأخرى، لم تحدث لهجاتها تأثيرا ذا بال على المجتمع الصنهاجي الذي كان يشكل الأغلبية المطلقة بالمجال الموريتاني، بدليل أن هذا المجتمع رغم اعتناقه الإسلام فإن العربية التي تعتبر لغة الدين، ظلت محصورة فيه في نطاق ضيق جدا، حيث تؤكد الكتابات المحلية أن وجودها قبل قدوم بني حسان إلى المجال الموريتاني، كان منحصرا في الأسر المتعلمة، لاسيما في المدن ذات الوظيفة التجارية مثل أودغست وكومبي صالح في عهد المرابطين ثم في المدن التي ازدهرت بعد ذلك كولاته وتنبكتو، لكن قدوم المجموعات الحسانية بداية القرن 8 هـ / 14م، كان كفيلا بتغيير لسان القوم إلى يوم الناس هذا (حماء الله، 2014، صفحة 181)، مع أن الإحصاءات تظهر تفوقا عدديا كبيرا لمجموعة الزوايا ذات الأصل الصنهاجي، ففي منطقة اترارزة لوحدها، حسب إحصاء أورده محمد المختار ولد السعد، كانت مع بدايات القرن العشرين بها: 6935 نسمة من حسان أي مايمثل 9.15 % من

سكان هذه الولاية، بينما يبلغ الزوايا نحو 62949 أي نسبة 83.10 %، في حين بلغت الفئات التابعة 5873 وهو ما يعادل 7.75 % (السعد، 1999، صفحة ص 72)، وهي معطيات تعكس حجم تأثير اللسان العربي رغم قلة حامليه عددياً، وهو ما يستدعي تقصي عوامل تراجع اللغة المحلية، رغم أنها كانت هي المتحدث الأساسي خلال الفترة القديمة والوسيط.

وعلى أي فإن وجود لغة أمازيغية صمدت بالمجال الموريتاني مدة قرون طويلة، يجعل من احتمالية نسبة النقوش الكتابية القديمة لهم أمراً مستساغاً، كما يبرهن على معرفتهم للكتابة، كغيرهم من الشعوب القديمة. لكن ربما حالت الطبيعة الشفوية لهذه اللغة دون تخليدها كتابياً بشكل أوسع.

خاتمة:

يمكننا القول ختاماً أنه بعد هذه المداولة السريعة لموضوع النقوش الكتابية الأمازيغية بموريتانيا يتبين أنها ذات أهمية قصوى باعتبارها على الراجح هي أقدم نموذج للكتابة بهذا المجال، وأن لذلك دلالات كبرى في القاموس التاريخي والحضاري، كما يظهر أن هذه الكتابات كانت تمثل ترجمة للغة التي كانت المجموعات الأمازيغية تتحدث. ومع ذلك يمكننا الإقرار بجملة من الإشكالات المرتبطة بهذه الكتابة أو الأبجدية وفي مقدمة ذلك أنها من حيث الكم محدودة النصوص فجل المكتشف منها أحرف قليلة، كما أن رموزها لم تفك بعد، ومن جهة أخرى فإن تأريخها غير مضبوط بشكل دقيق وكل ما يتحدث عنه معطيات تقريبية. وعليه فإننا نقترح البحث عن سبل علمية للتعاون مع باحثين مختصين بغرض فهم وفك رموز هذه الكتابة، وأخذ عينات من الصخور الحاملة لها قصد معرفة تأريخها بوسائل علمية متطورة. كما نأمل أن يتوجه الباحثون المحليون لدراسة هذه الكتابة ووضعها في سياقها التاريخي، خصوصاً الفن الصخري الذي عكسها منفذوه على الصخور، وكذلك رصد العلاقة بينها ومجموعة اللغات واللهجات التي عرفها المجال

الموريتاني قديما، بل ووضعها أيضا في سياقها الصحراوي والمغاربي الذين وجدت بهما هذه الكتابة في الكثير من المواقع كما كانا موطنًا للأمازيغ كما هو معروف تاريخيا.

2. قائمة المراجع:

باللغة العربية:

- ابن أبي زرع الفاسي، علي. (1973). الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. دار المنصور للطباعة.
- أبي القاسم بن حوقل النصيبي، ابن حوقل. (1992). صورة الأرض. مكتبة الحياة للطباعة والنشر.
- أسميري، المحفوظ (2004). جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال النقوش والرسوم الصخرية. [رسالة دكتوراه غير منشورة]. جامعة محمد الخامس. المغرب.
- أسميري، المحفوظ. (2015). الأمازيغ والمجال الصحراوي في العصور القديمة. الأمازيغ والمجال الصحراوي عبر التاريخ، (ص ص 37-49). المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.
- أعشي، مصطفى. (2002). جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ. ط 1. مركز طارق بن زياد.
- أيده الهلال، أحمد مولود. (2014). مدن موريتانيا العتيقة "قصور ولاته وواديان وتبشيت وشنقيط". ط 1. دار أبي رقرق للطباعة والنشر.
- بن الأمين الشنقيطي، أحمد. (1989). الوسيط في تراجم أدباء شنقيط. ط 4، مطبعة المدني.
- الحسين، الناني. (2007). صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف ق 2هـ - 8م حتى نهاية ق 5هـ - 11م، ط 1. دار المدار الإسلامي.
- السالم، حماه الله. (2015). حركة المرابطين بين العصبية والدعوة. ، ط 1. دار أبي رقرق للطباعة والنشر.
- سيد أحمد، يحي. (2013). لسان أوزير. محاضرات أقيمت في مهرجان وادان، (ص ص 61-66). الإتحاد الموريتاني للنشر والتوزيع.
- النحوي، الخليل. (1967). بلاد شنقيط المنارة والرباط: عرض للحياة العلمية والإشعاع الفقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر). المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- ولد السعد، محمد المختار. (1999). إمارة الترازة وعلاقتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703 إلى 1860. [رسالة دكتوراه غير منشورة]. جامعة تونس الأولى. تونس.

باللغات الأجنبية:

Herodote. (1888). Histoires Livre IV, (Larcher, Bochar, Wesseling, Casabon, Bellanger), Les belles Lettres.

Pline l'ancien. (1980). Histori Naturelles, Livre V, (Desanges, J), Les belles Lettres.

Salluste. (1980). Guerre de Jugurtha XVIII, (Ernout, A), Les belles Lettres.

Sénonés M., Puigauveau O. Du, (1939). Peintures rupestres du Tagant (Mauritanie). In: Journal de la Société des Africanistes, tome 9, (1), 43-70.

Stabon. (1969). Géographie Livre II, Tome I, (Aujac. G), Les belles Lettres.

Vernet, R. (1996). le site rupestre d'el Rhallaouiya (Adrar de Mauritanie). beintrag zur Allgemeinen and vergleichenden Archéologie, mainz, Band (16), 109-137.

Vernet, R., Mohamed Naffé, B. (2003). *Dictionnaire Archéologique de la Mauritanie*, Université de Nouakchott.

Yves, Ch. (2011). Des chars et des Tifinagh: étude aréale et corrélations. In Cahiers de l'AARS 15 (Association des Amis de l'Art Rupestre Saharien), 91-118.